وما سواها (120)

# المعضلات السلوكية للتداعيات العربية!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa120-090516.pdf

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

هذه محاولة لقراءة التفاعلات القائمة في المجتمع العربي بمنظار سايكوبولتيكي , قد يساهم في توضيح العناصر الكامنة فيها , وآليات تفاعلها وتداخلها , وإنتاجها لمركباتها السلوكية المؤثرة في الحياة.

والكتابات (السايكوبولتيكية) أو (النفسّياسية) , تكاد تكون قليلة أو نادرة في الأدب السياسي والنفسي العربي , وليست ذات تأثير وفاعلية في مراكز إتخاذ القرار وتقدير المواقف والإحتمالات.

وقد تناولت بعض العوامل المتصلة بالسلوك القائم في المجتمع , والتي ربما تفسر المعطيات والتداعيات المتفاقمة.

ومن الواضح أن هناك الكثير منها , لكن التأكيد على بعضها سيكون محور هذا الإقتراب.

الكتابات (السايكوبولتيكية) أو (النفسّياسية) , تكاد تكون قليلة أو نادرة في الأدب السياسي والنفسي العربي , وليست ذات تأثير وفاعلية في مراكز إتخاذ القرار وتقدير المواقف والإحتمالات

## أولاً: أزمة اللاوعي

اللاوعي العربي يدّخر أكداسا من الرؤى , والتصورات والمناهج , والمعايير السلبية المتسيّدة على ميادين السلوك المعاصر , وتتحكم بمفردات الحياة وتأخذها إلى طريق مسدود.

هذا الكُدس الهائل من الأفكار الفاعلة في الأعماق , والمؤسسة لسلوكياتها وشواهدها في المحيط القائم من حول الناس , هي التي تصنع الوجود المأساوي للبشر.

اللاوعي العربي يدّخر أكداسا من الرؤى , والتصورات والمناهج , والمعايير السلبية المتسيّدة على ميادين السلوك المعاصر , وتتحكم بمفردات الحياة وتأخذها إلى طريق مسدود

فطاقات لاوعينا تميل إلى التأزم والتعقيد وإغلاق المنافذ , ونفي الحلول والتصحر والإنحباس في حفرة , أو الهرولة في أنفاق مظلمة , والمراوحة في أوحال الواقع والقضية.

ولاوعينا دامع حزين , يخشى الفرح والإبتسام , ويرغب بالألم والقسوة والظلم والإستبداد , والنيل من الذات والموضوع , والتكالب على الكراسي بأنواعها , من البيت وحتى الدولة.

وتهيمن عليه إرادة تأنيب الضمير , وتضخ في أرجائه شياطين الجلد المبرّح لكل ما يمت بصلة إليه.

وفي لا وعينا ميل غريب للسلبيات والسيئات , فلا نريد أن نرى إلا بعيون الرفض وعدم القبول والشك والحذر والخوف والعدوان.

وبرغم المسيرة الطويلة والقيم والأخلاق والمعايير الموروثة والدينية بأنواعها , فأن اللاوعي الفعّال فينا , يعيش بعيدا عنها وينكرها , أو يتخذها وسائلَ لتسويغ ما يريد القيام به , وفقا لآليات دفاعية معقدة ومتشابكة جدا.

وهذا اللاوعي الأليم في عزلة , ونأي عمّا يتصل به , فهو منزّه وسامي ومقدّس , برغم آثامه وسيئاته وجرائمه والفظيعة.

طاقات لاوعينا تميل إلى التأزم والتعقيد وإغلاق المنافذ , ونفي الحلول والتصحر والإنحباس في حفرة , أو الهرولة في أنفاق مظلمة , والمراوحة في أوحال الواقع

ولا يسمح لنا بالإعتراف بالخطأ , أو تصحيح الخطوات , وإنما هو طاقة مفلوتة مهيمنة مستبيحة , طاغية لا تعرف الرحمة والألفة والمواءمة والشعور بالإنتماء للحالة المصيرية وجينات الصيرورة والإبتداء.

ونمتلك في لا وعينا ما لايُصدق من الإنحرافات والرغبات الشاذة الغريبة , التي نلدها بعمليات قيصرية , ونطلقها في واقع الحياة على أنها كيانات سليمة صائبة ومثالية.
وبسبب اللاوعي الفتاك , لا يمكننا أن نتحاور , أو نتفق أو نتعلم السلوك الجماعي , ونفهم في المصلحة العامة , وبناء الوجود المعاصر اللازم للتقدم والرقاء.
فهل سنعي آفات لا وعينا , ونؤسس لمسيرة وعينا الحضاري , بدلا من الخضوع لذلك المارد الذي يتحكم بسلوكنا ويقضي على وجودنا؟!!

## ثانيا: سايكولوجية البركان العربي

المكبوت العربي إنفجر!!
النفس العربية إنفجرت!!
فما أسميناه بالربيع العربي ثورة بركانية , بعنفوان الإرادة المعتقة في قوارير الإستبداد.
فالمجتمع العربي مضغوط ومكبوس تحت سنابك القرون.
وقد أسهمت قدرات المصالح في زيادة ثقل الضغط وهوله , وتم إضعاف الأنا العربية وتآكلها , وتحويلها إلى حالة مُهانة وخاوية بل وتدميرها ومحقها.
فتعززت أمّارة السوء وتوفرت لها المسوغات والمساعدات والرغبات والمعطيات اللازمة لسيادتها.

كما أن الأنا العليا , أو النفس اللوامة , قد تعرضت للزعزعة والهوان , فتلوثت قيمها ومعاييرها , وكل ما يرتبط بها من صفات ومعاني نبيلة سامية , وحلت مكانها مفردات وعناصر ذات إرادة سلبية أو إبليسية , فتحول في معاقلها الشر إلى خير , والرذيلة إلى فضيلة , والباطل إلى حق , وانمحقت الحدود ما بين الحالات الواضحة , وتميّعت التوصيفات أو سُخِّرت لتحقيق الغايات وفقا لما يبرر الوصول إليها وحسب!!

## ثالثا: الدينا صورية

إرادة إنقراضية تتحقق ما بين أبناء النوع الواحد وتؤدي إلى إبادتهم التامة.
فالديناصورات إنقرضت , لا لشيئ , إلا لأنها أوجدت ديناصورات من بينها تأكل اللحوم , فلم تجد إلا أبناء نوعها لأكلهم , لضخامة أجسامها وبطئ حركتها , وعدم قدرتها على صيد الغزلان والحيوانات الأخرى لأنها أسرع منها.
وإزداد عدد هذه الديناصورات ذات الفكوك القوية , وتواصلت بأكل نوعها , وبعد أن توالت القرون , وجدت نفسها بلا طعام , بعد أن محقت أبناء نوعها بإفتراسها المتواصل لهم.

وبما أنها أقل سرعة من باقي الحيوانات , فأنها بقيت تعتاش على الجيف وبقايا الفرائس التي يصطادها غيرها , لكنها لا تكفيها , فأخذت تأكل بعضها البعض حتى إنقرضت بالكامل.

والقضية

لاوعينا دامع حزين , يخشى الفرح والإبتسام , ويرحب بالألم والقسوة والظلم والإستبداد , والنيل من الذات والموضوع , والتكالب على الكراسي بأنواعها , من البيت وحتى الدولة

في لا وعينا ميل غريب للسلبيات والسيئات , فلا نريد أن نرى إلا بعيون الرفض وعدم القبول والشك والحذر والخوف والعدوان

نمتلك في لا وعينا ما لايُصدق من الإنحرافات والرغبات الشاذة الغريبة , التي نلدها بعمليات قيصرية , ونطلقها في واقع الحياة على أنها كيانات سليمة صائبة ومثالية

المكبوت العربي إنفجر!!
النفس العربية إنفجرت!!
فما أسميناه بالربيع العربي ثورة بركانية ,

بعنفوان الإرادة المعتقة في قوارير الإستبداد

وفي دورة الحياة البشرية يتحقق هذا السلوك بين حين وآخر , فتنقرض المجاميع البشرية وتبيد , ولا يتبقى إلا ما يشير إليها من آثار.
وقصص الحضارات بأنواعها لشاهد ودليل على ذلك.

وما يحصل في مجتمعاتنا , يؤكد ذات السلوك الذي أدى إلى إنقراض الديناصورات , والحضارات والأقوام البشرية الأخرى , بتعاقب الحقب وتوالي العاديات.
وبعد أن تم إتخاذ الدين كوسيلة لصناعة الديناصورات الآكلة لنوعها ودينها , وإطلاقها وتزويدها بمعدات التدمير الشامل للمحق والإبادة الشرسة لأبناء النوع , صار الإنقراض سلوكا يوميا ودستور فناء أكيد , لتحوله إلى طاقة داخلية فاعلة في أعماق الحالة التي ستنقرض.

أن الأنا العليا , أو النفس اللوامة , قد تعرضت للزعزعة والهوان , فتلوثت قيمها ومعاييرها , وكل ما يرتبط بها من صفات ومعاني نبيلة سامية

وهكذا تجدنا أمام آليات التفاعل الإنقراضي الفتاك , الدائر في أرجاء المجتمع المتهاوي التطلعات والطموحات والأهداف , وقد تعلم العجز وفقا لمناهج التدمير الحضاري الشامل!!

## رابعا: العنف النفسي

العنف ديناميكية متنامية في النفس البشرية , تمتلك مفرداتها ومعادلاتها وعواملها المساعدة اللازمة لتفاعلاتها , وتحقيق مركّب العنف الذي يكون حارقا كحامض الكبريتيك أو النتريك.

ومثلما يمكننا أن نبطل تفاعلات عناصر أية معادلة كيمياوية , نستطيع أيضا إبطال تفاعلات عناصر العنف والعدوان.
وأهم خطوة في ذلك , معرفة العوامل المساعدة وعزلها عن المعادلة ذات العناصر المتفاعلة , أو التي هي على أهبة التفاعل , والعوامل المساعدة كثيرة ومتنوعة.

بعد أن تم إتخاذ الدين كوسيلة لصناعة الديناصورات الآكلة لنوعها ودينها , وإطلاقها وتزويدها بمعدات التدمير الشامل للمحق والإبادة الشرسة لأبناء النوع , صار الإنقراض سلوكا يوميا ودستور فناء أكيد , لتحوله إلى طاقة داخلية فاعلة في أعماق الحالة التي ستنقرض

والخطوة الأخرى أن يتحقق عزل العناصر عن بعضها , وعدم وضعها في بودقة واحدة ذات ظروف مواتية للتفاعل العنيف.

وهذه الفكرة تنطبق على الحالة العربية بأكملها , حيث ترى العنف ناجم عن تفاعل عناصرفي بودقة إزدحمت فيها الظروف المساعدة والمواتية لتأجيج التفاعل.
والعوامل المساعدة القوية , هي المال والسلاح والعقيدة , وحالما تكون العقول والنفوس مؤهلة لتفاعلاتها , فأنها لا ترى ولا تدرك إلا المسار الشديد الذي إنزلقت إليه.

وفي واقع ما يجري أن الإعتصامات والحشود , عبارة عن نار موقدة تنطبخ على حرارتها العواطف السلبية والمشاعر السيئة , وتتمازج لإعداد طبخة شهية للدمار والخراب.

أن الإعتصامات والحشود , عبارة عن نار موقدة تنطبخ على حرارتها العواطف السلبية والمشاعر السيئة , وتتمازج لإعداد طبخة شهية للدمار والخراب.

فعندما لا تجد هذه الطاقات المطبوخة منفذا , أو مجرى تسير فيه وتتبدد , فأنها ستتبعج , ودائما تكون إنبعاجاتها عدوانية صاخبة عمياء وذات قدرات تدميرية عالية , وتتسبب في زيادة زخم الإندفاعات المأساوية والخسائر بأنواعها.

فهل لدينا الإمكانيات العقلية والإدارية والقيادية والسياسية , لنزع فتيل تفاعلات الإضطرام والإضرام , وتحويل النيران إلى أنوار ومشاعل , بدلا من اللهيب والدخان.

إن كل حالة بحاجة إلى بحث علمي ودراسة , وتفاعل عقول رشيدة ذات وعي بعناصر المكان والزمان.

وعندما لا تتوفر هذه القدرات فأن النيران لا تنطفئ , بل ستنتشر وتحرق الموجودات لأن البشر قد تحول إلى أعجاز نخيل خاوية!!

## خامسا: الإستصلاح العقلي المفقود

هل أن عقولنا بحاجة للإستصلاح؟!

لو نظرنا إلى أحوالنا وتمعنا فيها , لبدى لنا واضحا , أنها من إنتاج عقولنا "السبخة" , فالأرض عندما تترك بلا زراعة لفترة طويلة , تتراكم فيها الأملاح , وتصبح غير صالحة للزراعة , ولا تنمو فيها إلا الأدغال والأشواك , أو لا شيئ.

والعقل العربي قد تُرك لقرون , بعيدا عن العطاء والتفاعل الحضاري الإبداعي المنير.

وهذا العقل ربما أصابته ملوحة القرون , وتراكمت فيه مفرزات التداعيات والحالات المريرة , وإستنقعت فيه الأحوال وتنامت الآفات , وصار ممثلا لإرادة المستنقع بقوانينه وتفاعلاته الراكدة المنحبسة المتكدسة حد الإختناق.

وبلداننا قد تحولت إلى صناديق مغلقة على مدى القرن العشرين , وتأسنت الموجودات فيها وازدادت تفسخا وتعفنا , حتى تعفرت الحياة بسمومها وتداعياتها وتأثيراتها السلبية الشديدة التدمير والتخريب.

وقد تحطمت هذه الصناديق بغتة, وإنطلقت محتوياتها , وتفاعلت مع أنهار الحياة الجارية , فوجدت نفسها في حالة إضطراب وتشويش وعدم قدرة على الجريان والمواكبة , فمنها مَن إنسحب , ومنها مَن إرتد إلى ما وراء القرون , ومنها مَن تصوّر بأن التأريخ يمكنه أن يعود القهقري , وأن عليه أن يدير عجلات الوجود بعكس إتجاه الزمن.

وفي جميع الأحوال أصبح العرب أمام إمتحان حضاري خطير , عليهم ان ينجحوا فيه أو يكونوا من الهالكين.

والعجب في أمرهم , أنهم نقلوا قوانين المستنقع إلى مياه الأنهار التي تدفقت في بلدانهم , وبما أنهم لا يخبرون إلا ذلك , فأنهم راحوا يتفاعلون مع بعضهم البعض على ضوئها , فصنعوا مأساتهم الكبرى , التي أذهلت أمواج الأنهار وأطفأت الأنوار.

وأمام هذا المأزق الحضاري , لا بد من المراجعة وإستصلاح العقول , لتتلذذ بطعم المياه الجارية , وترتوي منها , لا أن تخشاها وترفضها وتعاديها , وتحاول أن تطوّعها لتكون كمياه المستنقع المجة المذاق والعفنة الرائحة.

عندما لا تجد هذه الطاقات المطبوخة منفذا , أو مجرى تسير فيه وتتبدد , فأنها ستنبعج , ودائما تكون إنبعاجاتها عدوانية صاخبة عمياء وذات قدرات تدميرية عالية

**العقل العربي قد تُرك لقرون , بعيدا عن العطاء والتفاعل الحضاري الإبداعي المنير**

هذا العقل ربما أصابته ملوحة القرون , وتراكمت فيه مفرزات التداعيات والحالات المريرة , وإستنقعت فيه الأحوال وتنامت الآفات , وصار ممثلا لإرادة المستنقع بقوانينه وتفاعلاته الراكدة المنحبسة المتكدسة حد الإختناق

فهل سنستصلح عقولنا , ونترك المياه الجارية تغسلها من الملوثات الحضارية التي تراكمت فيها , أم أننا سننطوي وننزوي في مستنقعات خرابنا الأليم؟!!

## سادسا:منهج الغنيمة

السلطة أمانة ومسؤولية وموقع لخدمة الآخرين , لكنها في عُرفنا الجمعي , غنيمة يتم الإستحواذ عليها من قبل الفرد , العائلة أو الحزب.

ووفقا لمفهوم "السلطة غنيمة" , تتحقق التداعيات المؤلمة في المجتمع.

ويشيع إستخدام كلمة السلطة والنظام أكثر من الحكومة , ونقول نظام حكم فلان وفلان.

وذلك يعني أن الذي تمكن من السلطة أو تسلط , قد تحوّل إلى دستور وقانون , وبهذا يفقد الدستور قيمته والقانون دوره , وتصبح يد السلطان وما حوله هي العليا.

وهذا يلخص مأساة مجتمعات مُخلّقة في رحم السلطة , وتسعى إلى ديمقراطية لا تعرفها , ولم تقرأ أبجدياتها, وإنما تتصورها أو تتخيلها.

ووفقا لذلك , تحولت الديمقراطية إلى سراب , أو زوبعة غبار خانق لا يسمح برؤية الطريق الجاد الصحيح.

فالقوى التي تصدت للحكم لا تفهم إلا أنها قد غنمت السلطة , وفازت بالكرسي , وحسبها أن تفعل ما تشاء , بما يرضي رغباتها وتطلعاتها الفردية والحزبية , وعليها أن تدين بمذهب الذئاب , فتسعى إلى تحويل الآخرين من حولها إلى قطيع راتع.

سواءً بالأسر بالحاجات أو بالقهر اليومي المتواصل , أو بالرعب والإنفجارات.

فعندما تكون السلطة غنيمة , فافعل ما شئت للحفاظ على غنيمتك , وجمع عسلها في قوارير المصارف العالمية , ولا يعنيك من أمور الرعية إلا ذلك , فهو حسبك اللذيذ.

وبما أن عقلية الغنيمة هي السائدة , فأن الديمقراطية ستتحول إلى معضلة كبرى في مجتمعات المنطقة.

فهل رأيتم ذئبا يتنازل عن غنيمته , وإن قتال الذئاب لشرس , رغم كثرة الفرائس والراتعة.

أ وَ ليس مذهبنا , ما فاز باللذات إلا الجسور؟!!

## سابعا: العولمة وضيق الأفق

من نتائج العولمة الغير متوقعة , إنغلاق العقول , وضيق الأفق الذي أخذ يلمّ بالناس في أصقاع المعمورة .

وكأن ضغط العولمة , قد تسبب في تشظي الموجودات وتحويلها إلى حالات متصارعة ومندفعة لإلغاء بعضها.

ويتجسد هذا السلوك في المجتمعات المتأخرة , أكثر منه في المتقدمة.

ويبدو أن ضيق الأفق والتخندق , من الوسائل الدفاعية الجديدة , التي إنبثقت بسبب العولمة , مما دفع إلى إنفصال مكونات المجتمع الإنساني إلى ألوان , وصياغات وتفاعلات تتجاهل بعضها ,

بلداننا قد تحولت إلى صناديق مغلقة على مدى القرن العشرين , وتأسنت الموجودات فيها وازدادت تفسخا وتعفنا

قد تحطمت هذه الصناديق بغتة, وإنطلقت محتوياتها , وتفاعلت مع أنهار الحياة الجارية , فوجدت نفسها في حالة إضطراب وتشويش وعدم قدرة على الجريان والمواكبة

أمام هذا المأزق الحضاري , لا بد من المراجعة وإستطلاع العقول , لتتلذذ بطعم المياه الجارية , وترتوي منها , لا أن تخشاها وترفضها وتعاديها

هل سنستصلح عقولنا , ونترك المياه الجارية تغسلها من الملوثات الحضارية التي تراكمت فيها , أم أننا سننطوي وننزوي في مستنقعات خرابنا الأليم؟!!

وتنسى بأنها ذات كيان واحد , ومسيرة متفاعلة على مرّ العصور.

وقد إتضح ضيق الأفق بشراسة ومرارة في مجتمعاتنا , التي إندحرت وتراجعت وتمزقت , ومضت في مسيرات إنتحار غير مسبوقة.

فما عرفت البشرية حالة من الضغط المعرفي والمعلوماتي والنفسي والعسكري والإعلامي والإقتصادي , مثلما تعرفه اليوم , وهذا كبّد الكثيرين هزائم وخسائر فائقة وشديدة.

وما يجري عندنا يؤكد ضيق الأفق , وإنحدار الحياة إلى مسارات مظلمة خانقة , لا تقترب من النور.

فالمجتمعات المنكوبة بالعولمة ومعطياتها الإقتصادية والثقافية والسياسية والتكنولوجية , لا تمتلك مهارات وقدرات الوعي والإستيعاب , والمواكبة والمرونة والمطاوعة والرؤية الوطنية الواضحة , ولهذا فأنها قد ناهضت مصالحها , ووضعت الحواجز والمصدات أمام تطلعات أبنائها , وقفزت بجنون غريب إلى جحيمات والإنقراض الذاتي والموضوعي , بإرادتها وطاقاتها التي توظفها لتحقيق ما هو سلبي وسقيم , بدخولها في مراجل التكرير الحضاري الإليم.

## ثامنا: الهدف المفقود والحكومة الحائرة

الحكومات في الدول كافة , لابد لها من رؤية وهدف واضح وبرامج مدروسة ومعلنة , وذات آليات وخطط لازمة لتحقيقها.

ولا توجد حكومة في أية دولة متقدمة , بلا أهداف ومشاريع تعرضت للدراسة والتحليل والتدقيق والتقييم , لمعالجة حالة ما , وللوصول بالمجتمع إلى أفضل مما هو عليه.

وفي واقع ما يحصل في مجتمعنا , أن الهدف مفقود , وأن الأطراف تدور في دائرة خاسرة من التفاعلات الدفاعية والإنكارية والإسقاطية , التي ينجم عنها تداعيات قاسية وأليمة , ومدمرة لجميع الأطراف.

فالحكومة التي لا تمتلك رؤية , لا يمكنها أن تنجز شيئا , أو تحقق هدفا صالحا ونافعا للحياة.

ولا يمكن الوصول إلى حكومات معاصرة ونافعة , من غير تفاعلات في إطار دستور صالح , يضمن آليات العمل وتوزيع القوة وصيانتها من الإحتكار , والإغتصاب من قبل الفرد أو الحزب أو الفئة.

كما لا يمكن لحكومات التوافق , في مجتمعات لا عهد لها بالديمقراطية , أن تنجز شيئا مهما , وتحقق هدفا وطنيا مفيدا, ذلك أنها تكون حكومة مقيّدة بأصفاد التوافقية.

إن من الواجب الوطني المعاصر , أن تكون الحكومة ذات حرية وآلية واضحة لتحقيق أهدافها , ضمن الفترة التي يمنحها لها الدستور , وأن تأتي غيرها وتجرب حظها في الحكم , وتبرهن على أنها قادرة على تقديم الأفضل أم لا.

السلطة أمانة ومسؤولية وموقع لخدمة الآخرين , لكنها في عُرفنا الجمعي , غنيمة يتم الإستحواذ عليها من قبل الفرد , العائلة أو الحزب

القوى التي تصدت للحكم لا تفهم إلا أنها قد غنمت السلطة , وفازت بالكرسي , وحسبها أن تفعل ما تشاء , بما يرضي رغباتها وتطلعاتها الفردية والحزبية , وعليها أن تدين بمذهب الذئاب , فتسعى إلى تحويل الآخرين من حولها إلى قطيع راتع.

يبدو أن ضيق الأفق والتخندق , من الوسائل الدفاعية الجديدة , التي إنبثقت بسبب العولمة , مما دفع إلى إنفصال مكونات المجتمع الإنساني إلى ألوان , وصياغات وتفاعلات تتجاهل بعضها , وتنسى بأنها ذات كيان واحد , ومسيرة متفاعلة على مرّ العصور

لا يمكن الوصول إلى حكومات معاصرة ونافعة , من غير تفاعلات في إطار دستور صالح , يضمن آليات

فالحكومات في الدول الديمقراطية , تمثل أحزابها الفائزة في الإنتخابات , وهي تتنافس في قابليتها على تقديم ما هو أفضل من غيرها , وأن تحقق إرادة الناخبين وتوفر لهم ما يساهم في الوصول إلى طموحاتهم.

ووفقا لهذا فالحكومة تكون ساطعة الرؤية والهدف , وذات منهاج وتعهدات وإلتزامات يسائلها عليها المجتمع , وترقبها الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى.

وعليه , فأن أية حكومة مقيدة , ومشوشة الرؤية أو فاقدة للهدف الوطني الجلي السامي , لا يمكنها أن تتواصل في مسيرة الحكم من دون تداعيات وتفاعلات فادحة الخسائر.

والإناء ينضح بما فيه , والحال ينسكب في الحال!!
فهل سنمتلك حكومة ذات هدف , وتبصر مفردات حاضرها ومستقبلها , أم أننا سنبقى متوحلين في التوافقات , ومنشغلين بالكراسي المتناطحات , وأنّ كلّ حلٍّ عندنا مُحال؟!!

## تاسعا: الإستنقاع الثقافي

الماء يجري والحياة تتغير , ولا يمكن لأحدنا أن يعْبر النهر مرتين , لكننا نستطيع عبور المستنقع أكثر من مرة , فكل ما فيه راكد ومترع بالمتعفنات.

والخوض في المستنقع يتسبب في الأمراض الوبائية , والسباحة في النهر تمنحنا القوة والصحة , وتجدد ما فينا من طاقات الحياة , وإرادات التواصل والجريان.
وفي واقع ما يدور عندنا من نواعير المآسي والويلات , أن الثقافة الإجتماعية الموروثة والمتحققة فوق أرض الحاضر , إنما هي ثقافة مستنقعة آسنة متعفنة في قوارير القرون , ولا نمتلك الجرأة والقوة والقدرة , والرؤية والتعبير على الخروج منها , والتحرر من عفونتها وأمراضها وأقياحها , ومضاعفاتها النفسية والسلوكية والفكرية.

بل أننا أصبحنا متحللين , أو متفسخين فيها , وكأننا لا نمتلك نبض الحياة , ولا تجري في عروقنا دفقاتها وحرارتها ومعانيها.

وهذا التفسخ الثقافي , أوجد صيرورات معادية للبقاء والتفاعل مع أنوار العصر الوثاب , مما دفع إلى الإنعزال والإنكفاء في صناديق التلاحي بالصغائر , والتداعيات الناجمة عن عفونة فكرة وأخرى تزكم أنوف الحاضرين , وتتسبب في عمى البصيرة , بما تولده من إنفعالات وعواطف مسعورة , تشل العقل بسمومها الفتاكة , وتقضي على إرادة الحياة والإنسان.

فالواقع المأساوي المتحقق في عالمنا الظالم المتظلم المنكوب بذاته وموضوعه , إنما هو من إنتاج الإستنقاع الثقافي , وما ينجم عنه من تداعيات , مرهونة بشدة ودرجة العفونة المنبعثة من قاع المستنقع , الذي توحلنا فيه , وانطمرنا حتى سمة رؤوسنا بأطيانه النتنة.

فهل من قدرة على التحرر من آفات المستنقع , وإستدعاء ماء الحياة الجاري , للدخول إليه

العمل وتوزيع القوة وصيانتها من الإحتكار , والإغتصاب من قبل الفرد أو الحزب أو الفئة.

إن من الواجب الوطني المعاصر , أن تكون الحكومة ذات حرية وآلية واضحة لتحقيق أهدافها , ضمن الفترة التي يمنحها لها الدستور , وأن تأتي غيرها وتجربه حظها في الحكم , وتبرهن على أنها قادرة على تقديم الأفضل أم لا

أية حكومة مقيدة , ومشوشة الرؤية أو فاقدة للهدف الوطني الجلي السامي , لا يمكنها أن تتواصل في مسيرة الحكم من دون تداعيات وتفاعلات فادحة الخسائر.

أن الثقافة الإجتماعية الموروثة والمتحققة فوق أرض الحاضر , إنما هي ثقافة مستنقعة آسنة متعفنة في قوارير القرون , ولا نمتلك الجرأة والقوة والقدرة , والرؤية والتعبير على الخروج منها , والتحرر من عفونتها

وتطهيره من العظايا والخطايا والآثام , والأقياح والشرور والأحقاد والتنابز بالآلام.
وهل سنستلطف العيش في مستنقع الخسران , وننكر أنهار الحياة وثورة الإنسان؟!!

## عاشرا: إرادة الفشل وتضييع الفرصة

التغييرات التي تسمى ديمقراطية قد خيبت الآمال , وتسببت بإزهاق عشرات بل مئات الآلاف من الناس الأبرياء , تحت راياتها التي جاءت كالزائر الغاضب الغريب عن الواقع العربي , ولم تنمو في المجتمع كبذرة لها جذورها وإمتداداتها الوارفة في الحياة.

وهذه الزائرة لم تعبّر عن نفسها كما تصورها أبناء المنطقة , على أنها مشروع أمل وتقدم ورقاء , وإنما ترجمت نفسها على أنها أداة للتخريب والدمار , والتفتت الإجتماعي وصناعة الأحزاب المتطرفة والمليشيات المسلحة , والتناحرات الدامية ما بين أبناء الشعب والوطن والدين الواحد.

أي أنها قد أجهضت الطموحات , وتسببت في تداعيات مريرة , حتى أوجدت حالة من الكراهية الشديدة ضدها.
فلم تأخذ الديمقراطية بمسيرة المنطقة إلى ما هو أفضل , بل أصابتها بمقتل , وخيّمت عليها إرادة التقاتل والتصارع الدامي , ما بين الموجودات الحية وغيرها , والتي تحوّلت إلى مشروع دائم للخراب السعيد.

وفي هذا المأزق الحضاري والمصيري الخطير , ثمة سؤال مفاده هل من فرصة؟!
ولا بد من الجد والإجتهاد في الإجابة عليه , لأن المنطقة على مفترق طرق , فإما أن تعيش في مستنقعات إقتتال دامية على مدى القرن الحادي والعشرين , وهذا هوالمطلوب والمبرمج , أو أنها تبحث عن فرصة خلاص , وتنتهج طريقا آخر تحفظ فيه ثرواتها وبلادها وعبادها.
فما هي الفرصة؟
إنّ عناصر الفرصة تكمن في الوعي الواضح , والإدراك العميق لحقيقة قدرة أبناء الأمة على صناعة وجودهم الأفضل , بالتعاون والتلاحم والتحمل وإحترام الرأي والمعتقد , وأنهم عاشوا لآلاف السنين على هذه القيم والمبادئ , ومن الغي أن ينكرونها ويخنعون لإرادة الآخرين .

وعليهم أن يصنعوا نظام حكمهم الذي يحميهم , وإن لم يجدوا أنفسهم مؤهلين للديمقراطية الحقيقية , فمن الأفضل لهم الرجوع إلى نظام حكم آخر , يؤهلهم للوصول إلى حالة النضج الديمقراطي المتفق وحاجاتهم وخصوصياتهم.

فالديمقراطية عليها أن تُكتشف في الناس , ولا يمكن إستيرادها كبضاعة فاسدة للإستهلاك , كما يحصل في المنطقة, ولهذا ما أسهمت في أي تقدم إقتصادي , وما وفرت أبسط الحاجات , فبدت كألعوبة وقناع , ووسيلة لتأهيل الناس لكي يكونوا أعداء بعضهم.

فهل سنلد ديمقراطيتنا من رحم وجودنا وبطن حقيقتنا , أم سنبقى مدمنين على الإستهلاك الحضاري المبيد؟!!

وأمراضها وأقيامها , ومضاعفاتها النفسية والسلوكية والفكرية.

الواقع المأساوي المتحقق في عالمنا الظالم المتظلم المنكوب بذاته وموضوعه , إنما هو من إنتاج الإستنقاع الثقافي , وما ينجم عنه من تداعيات , مرهونة بشدة ودرجة العفونة المنبعثة من قاع المستنقع , الذي توحلنا فيه , وانطمرنا حتى سمة رؤوسنا بأطيانه النتنة

إنّ عناصر الفرصة تكمن في الوعي الواضح , والإدراك العميق لحقيقة قدرة أبناء الأمة على صناعة وجودهم الأفضل , بالتعاون والتلاحم والتحمل وإحترام الرأي والمعتقد , وأنهم عاشوا لآلاف السنين على هذه القيم والمبادئ , ومن الغي أن ينكرونها ويخنعون لإرادة الآخرين

عليهم أن يصنعوا نظام حكمهم الذي يحميهم , وإن لم يجدوا أنفسهم مؤهلين

## حادي عشر: خنادق الإختلاف

التخندق في محاور الإختلاف عاهة سلوكية أصابت البشرية بالويلات , لأنها تستثير أقصى طاقات الغضب والإنفعال والتوحش والإندفاع نحو الفتك والدمار.

فالإختلاف قوة ذات إتجاهين , وتكمن فيه أغنى طاقات البناء وأقوى قدرات الخراب, والمجتمعات هي التي تختار أي طريق تسلك.

وفي واقع الوجود بأسره , أن البقاء والتواصل لا يتحقق بدون تفاعل العناصر المختلفة , ودخولها في متواليات تفاعلية متنوعة , ومطلقة الإتجهات والإنتاج المؤهل لتفاعل إختلافي آخر.

فالسالب يتفاعل مع الموجب , والسالب يتنافر مع السالب , وكذلك الموجب يتنافر مع الموجب , وهذا يعني أن الحالات أو العناصر المتشابهة ذات طاقة إنقراضية فائقة , إذا تم عزلها عن المختلف معها بشيئ ما.

فلا يمكن للرجل أن يتفاعل مع الرجل لإنجاب الأطفال , بينما تفاعل الرجل مع المرأة يؤدي إلى إنجاب الأطفال , لتفاعل حالتين ذات مواصفات إختلافية معروفة.

وكذلك النخلة لا تعطي رطبا أو تمرا , إذا لم تتفاعل مع نخلة أخرى ذات طلع وليست ذات أعذاق , فتفاعل الأعذاق مع الأعذاق لا ينتج تمرا, وكذلك الطلع مع الطلع لا يتمر.

هذه حقائق أزلية قائمة في الحياة , وأدركها البشر منذ أول خطوه فوق التراب.

لكن تعدد النفوس وزيادة أعداد البشر وإنغماسهم في صيرورات متصاغرة , وتخندقهم في حالات للتعبير عن وجودهم وهويتهم وسط هذا العدد البشري الهائل , قد أسهم في تخندقهم وتقوقعهم وإنعزالهم عن بعضهم , بل وتصارعهم الدامي الذي يقضي على جميع أطراف الصراع.

وفي زمن الذوبان والإنطلاق الحر , في محيطات وفضاءات البشرية ذات الزمن الإتصالي المعاصر الوثاب , أصيبت العناصر المتخندقة بالدوار والغثيان الشديد , وتشوهت رؤاها , وتزعزع وجودها , ولهذا فأنها إتخذت سبلا إنتحارية , أو فنائية لتأكيد وجودها ودورها الواهي والمنقرض حتما.

ذلك أن سيل الصيرورات المعاصرة العارم الشديد الإنطلاق , قد أغرق الدنيا وساوى عاليها بسافلها , ولا يعصم منه أي جبل أو خندق أو صندوق.

فالذي يتخندق سيختنق ويموت , والذي يظن بأنه سيتمكن من السباحة ضد التيار سيتعب وتهون قواه ويغرق , ولهذا فأن أعداء الإختلاف لن يتمكنوا من التواصل في سلوكهم لأنهم حتما لمن المغرقين.

وهكذا فأن سياسات الخنادق , وعقائد الخنادق , لا تنفع وإنما تعني إصابة أصحابها بأنيميا الإنعزال والإنقراض , وسيصيبهم داء الإسقربوط الحضاري , فينزفون ما عندهم من الأفكار من أوردتهم وشرايينهم فوق رمال النسيان.

فأمواج العصر المعلوماتي المعرفي الساطع , أعتى من جميع الأمواج التي عهدتها البشرية ,

للديمقراطية الحقيقية , فمن الأفضل لهم الرجوع إلى نظام حكم آخر , يؤهلهم للوصول إلى حالة النضج الديمقراطي المتفق وحاجاتهم وخصوصياتهم

**الديمقراطية عليها أن تُكتشف في الناس , ولا يمكن إستيرادها كبضاعة فاسدة للإستهلاك , كما يحصل في المنطقة, ولهذا ما أسممت في أي تقدم إقتصادي , وما وفرت أبسط الحاجات**

هل سنلد ديمقراطيتنا من رحم وجودنا وبطن حقيقتنا , أم سنبقى مدمنين على الإستهلاك الحضاري المبيد؟!!

**التخندق في محاور الإختلاف عاهة سلوكية أصابت البشرية بالويلات , لأنها تستثير أقصى طاقات الغضب والإنفعال والتوحش والإندفاع نحو الفتك والدمار**

لأنها إستطاعت أن تفاعل العقول في أرجاء الأرض كافة , وبلغة مشتركة وفعالة ومؤثرة , لصناعة الآراء والإتجاهات ونشر الثقافات فهل أنتم مدركون أم أنكم لمن المُغرَقين؟!!

السالب يتفاعل مع الموجب , والسالب يتنافر مع السالب , وكذلك الموجب يتنافر مع الموجب , وهذا يعني أن الحالات أو العناصر المتشابهة ذات طاقة إنقراضية فائقة , إذا تم عزلها عن المختلف معها بشيئ ما

## ثاني عشر:التشويه الديمقراطي

مجتمعاتنا التي تقول بأنها تسعى إلى بناء أنظمة ديمقراطية , قد أمسكت بالديمقراطية من ذيلها , ونسيت بأن لها رأس وعقل ورؤى وبرامج وآليات , وإن جوهرها الإقتصاد .

فلا ديمقراطية إذا كانت البطالة فائقة والفقر شديد , والحاجات ناقصة والعناء الإنساني متعاظم.
فالديمقراطية سلوك إقتصادي أولا , فالحرية بحاجة إلى إقتصاد قوي , والتعبير عن الإرادة الإنسانية لا يكون صائبا إلا عندما يبني المجتمع إقتصادا قويا.

في زمن الخوبان والإنطلاق الحر , في محيطات وفضاءات البشرية ذات الزمن الإتصالي المعاصر الوثاب , أصيبت العناصر المتخندقة بالدوار والغثيان الشديد , وتشوهت رؤاها , وتزعزع وجودها , ولهذا فأنها إتخذت سبلا إنتحارية , أو فنائية لتأكيد وجودها ودورها الواهي والمنقرض حتما.

لكن السائد في مجتمعاتنا التي غيرت أنظمتها , أن الديمقراطية عبارة عن تظاهرات وإعتصامات وحسب , وهذا بحد ذاته يدل على أن الناس تعيش حالة من البطالة مما يجعلها تعتصم أو تحتشد , لكي تشعر بأنها تفعل شيئا ما.

فالبشر لا يمكنه أن يمضي أيامه عاطلا بلا عمل وإنتاج , ومعظم ما يجري سببه فقدان قيمة العمل , وتأثيره في صناعة الحياة الأفضل.
فالذي يعمل لا يمكنه أن يوفر لقمة العيش , ويصعب عليه تماما , أن يتمتع بمعطيات الحياة , التي تزداد تدفقا وتطورا وإثراءً , ولهذا يميل إلى سلوكيات الفساد , وهذا ما نراه في هذه المجتمعات , حيث ترافقت ديمقراطياتها بزيادة كبيرة بالفساد.

ومن هنا فعليها أن تمسك الديمقراطية من رأسها , وتدرك بأنها مسؤولية فردية وجماعية ووطنية , وكل مواطن يتحمل دوره ويؤدي واجبه بإتقان , لكي ينمو الإقتصاد وتتعزز الديمقراطية , ويسعد الجميع بقوانينها وأنظمة حكمها.
أما أن تحسب على أنها حشود وإعتصامات ومطالبات , وإسقاط حكومات وحسب , فهذا ليس من الديمقراطية بشيئ , وإنما تعبير عن الجهل بها , وإبتعاد عن أهدافها ومعانيها , والإنحدار بالمجتمع إلى هاوية الصراعات , والوطن إلى مأزق التفتت والضياع , فعلينا معرفة رأس الديمقراطية وترك ذليها!!

الذي يتخندق سيختنق ويموت , والذي يظن بأنه سيتمكن من السباحة ضد التيار سيتعب وتهون قواه ويغرق , ولهذا فأن أعداء الإختلاف لن يتمكنوا من التواصل في سلوكهم لأنهم حتما لمن المغرقين

## ثالث عشر: عقل الكراسي

هل أن الكراسي عاقلة؟
وإذا شئتم فالسؤال الأصوب , هل أن الكراسي تملك عقلا؟!
الواضح أن الكراسي العربية الفاعلة في حياة المجتمع قد غادرت عقولها , بمعنى أن الشخص الذي يجلس على كرسي المسؤولية , يتخلص من عقله.

إذ يبدو أن المسؤول أو الحاكم , حالما يتمكن من الجلوس على الكرسي , ينخرط في نمطية سلوكية محكومة بالتفاعلات السلطوية المنفعلة , ومأسورة بآليات القوة التي تقرر إستجاباتها.

وبما أن الكراسي قد تخلصت من عقلها فلا يمكن وصفها بالمجنونة أو المريضة عقليا أو غير ذلك من التوصيفات المتصورة , لأن ذلك يستدعي وجود العقل.

ولا زلنا حتى في هذه الظروف القائمة في المجتمع العربي , نجد غياب العقل , وما وجدنا إستجابة حكيمة ناضجة توحي بفعل العقل لا الإنفعال إلا فيما ندر.

ومَن يتعامل مع أصحاب الكراسي , يلاحظ بأن الإمعان بالفوقية قوة مهيمنة على سلوكهم وتدفع بالمستفيدين منهم إلى تعميقها , وزيادة قوتها ودورها بما يقدمونه لهم من إرضاءات لحاجاتها. ويصبحون في محنة الغياب عن الواقع والإنقطاع عن عناصر الحياة ومفرداتها المتفاعلة في معادلة الوجود البشري.

ويلعب الشك دوره السلبي في سلوكهم , مما يدفعهم إلى الإستجابات العدوانية الإنتقامية الدامية ضد الذين لا يغذون مشاعر الفوقية وأكثر عندهم.

وحالما يحصل شيء لا يرغبون به, يلقون به على الآخرين , ويأخذون بالتصريح بالمؤامرات , التي قتلت من الشعب العربي ما لم تقتله الحروب, وكأن المؤامرة معركة متواصلة ما بين الكراسي وأبناء المجتمع الذين يطالبون بحياة أفضل.

ومعظم الأحزاب تصنع رموزها المؤلهة , التي لا يجوز إلا مدحها والتبرك بكلماتها وما تقدمه للناس من مكرمات وعطاءات لا تضاهى.

وكل كرسي يصنع حزبا , ويبني عسكرا مؤلفا من أفواج حمايات , وأمن خاص وخاص وأكثر.

ويدخل المجتمع في دوامة التفاعلات المنفعلة مع الكراسي , وفي تداعيات ذات عواطف سلبية حارقة , تهيمن على فضاءات الحياة وتأتي بما هو ضار للجميع , حتى يتآكل الإقتدار وتتحقق المأساة, كما نلاحظه اليوم عدد من البلدان , ورأيناه سابقا في بلدان أخرى معروفة وسنراه في غيرها.

فالواقع يشير إلى أن الأنظمة الكرسوية , ذات إنفعالية عالية , وهي تعبّر عن إملاءات إنفعالاتها , التي تتبعها بتسويغات ناجمة عن النظر التبريري بعد حصول الإستجابة , والتي ينطبق عليها دوما " سبق السيف العذل" , فترى الكرسي يأخذ بالقول والتصريح بما يريح ضميره , ويساهم في تعزيز سلوكه الظالم والمستبد.

ومعظم أصحاب الكراسي , يؤكدون بأن ما يقومون به , إنما تنفيذ لما يجب أن يتم تنفيذه بحق الضحية , فيبرئون أنفسهم من المسؤولية.

وفي هذا موقف إجرامي لا يختلفون فيه عن أي مجرم آخر.

فعندما تسأل المجرم عن لماذا فتك بالضحية سيكون جوابه , إن الضحية هي التي دفعته للقيام بما قام به , وبأنها هي السبب لا هو.

هذه ديناميكية دفاعية وآلية سلوكية تتحكم بتصرفات المجرمين كافة وأصحاب الكراسي عامة.

فهل أن الكرسي يطلق نزعة الإجرام , ويجسدها بقوة وحرية ووحشية غير معهودة؟

**أمواج العصر المعلوماتي المعرفي الساطع , أعتى من جميع الأمواج التي عهدتها البشرية , لأنها إستطاعت أن تفاعل العقول في أرجاء الأرض كافة , وبلغة مشتركة وفعالة ومؤثرة , لصناعة الآراء والإتجاهات ونشر الثقافات فهل أنتم مدركون أم أنكم لمن المُغرَقين؟!!**

مجتمعاتنا التي تقول بأنها تسعى إلى بناء أنظمة ديمقراطية , قد أمسكت بالديمقراطية من ذيلها , ونسيت بأن لها رأس وعقل ورؤى وبرامج وآليات , وإن جوهرها الإقتصاد

**فلا ديمقراطية إذا كانت البطالة فائقة والفقر شديد , والحاجات ناقصة والعناء الإنساني متعاظم**

السائد في مجتمعاتنا التي غيرت أنظمتها , أن الديمقراطية عبارة عن تظاهرات وإعتصامات وحسب , وهذا بحد ذاته يدل على

أن الناس تعيش حالة من البطالة مما يجعلها تعتصم أو تحتشد , لكي تشعر بأنها تفعل شيئا ما

وهل أن الكرسي يقوم بجرائم فوق القانون , والمجرم يرتكب الجريمة لكي يكون تحت طائلة القانون؟

إنها تساؤلات تشترك أجوبتها بطاقة إنفعالية متميزة , ويضمحل دور العقل أو يكون العبد المطيع لسيادة الإنفعال والفعل المنفعل.

## رابع عشر: السياسة والسعادة

هل يمكننا أن نعرّف السياسة بأنها مهارات تحقيق السعادة؟

قد يبدو السؤال غريبا , لكنه يمتلك رصيدا معقولا من الواقعية ويستحق النظر والتفكير.

فالمجتمعات السعيدة عندها أنظمة سياسية مستقرة , وساسة مرموقون يجيدون فنون الإرتقاء بمجتمعاتهم إلى حالات متقدمة ومتواكبة مع زمنها , وربما متقدمة عليه.

أما أن تحسب على أنها حشود وإعتصامات ومطالبات , وإسقاط حكومات وحسب , فهذا ليس من الديمقراطية بشيء , وإنما تعبير عن الجهل بها , وإبتعاد عن أهدافها ومعانيها , والإنحدار بالمجتمع إلى هاوية الصراعات , والوطن إلى مأزق التفتت والضياع , فعلينا معرفة رأس الديمقراطية وترك ذليها!!

والمجتمعات التعيسة , لا تمتلك أنظمة سياسية واضحة , ولا يوجد فيها ساسة محنكون قادرون على أخذها إلى آفاق التقدم والنماء.

فالمجتمعات العربية برغم ما عندها من الثروات , لكنها تتميّز بسيادة التعاسة والمآسي والويلات , وقلة الفرح , وإنعدامه في بعض المجتمعات التي تستلطف الحزن واللطم على الأموات والتغني بما فات.

مجتمعات فيها كل ما تحتاجه لتحقيق السعادة , لكنها لا تعرفها ولا تقترب منها , ومنشغلة بالصراعات الفتاكة , وبإستحضار أسباب ومولدات الحسرات.

وهذا يشير إلى أن أهم سبب في هذه المعادلة الدامية هو غياب المهارات السياسية , وفقدان البوصلة الوطنية الإجتماعية , وعدم وجود الحنكة السياسية والنظريات التي يسترشد بها القادة في الحياة.

مَن يتعامل مع أصحاب الكراسي , يلاحظ بأن الإمعان بالفوقية قوة مهيمنة على سلوكهم وتدفع بالمستفيدين منهم إلى تعميقها , وزيادة قوتها ودورها بما يقدمونه لهم من إرضاءات لحاجاتها

وعليه فأن الجهل السياسي يؤدي إلى التعاسة , والمعرفة السياسية والفهم المعاصر لمهاراتها ونظرياتها يساهم في بناء السعادة.

ولهذا فأن الكثير من المجتمعات برغم محدودية ثرواتها ومصادرها , لكنها إستطاعت أن تبني مجتمعات سعيدة , ومن هذه المجتمعات الصين واليابان والكوريتين.

بينما المجتمعات العربية غنية بثرواتها وتاريخها وتراثها لكنها تتميز بتعاسة واضحة , ويعشعش القهر والحرمان والإستلاب في أركانها.

وهذا يشير بوضوح إلى أن العيب الأساسي يكمن في المهارات السياسية , وليس بغيرها.

معظم أصحاب الكراسي , يؤكدون بأن ما يقومون به , إنما تنفيذ لما يجب أن يتم تنفيذه بحق الضحية , فيبررون

فقد يقول قائل ما يقول عن الشعب العربي , ويحلل ويستنتج ويأتي بنظريات وتفسيرات وما يشاء من الرؤى والتصورات , لكنه ينسى بأن المشكلة الحقيقية أصلها في غياب النظام السياسي الناضج الصحيح بمؤسساته المعاصرة العريقة المتطورة, المناسبة القادرة على تحقيق السعادة الإجتماعية والوطنية , التي نراها واضحة على قسمات الوجوه الصينية واليابانية والكورية , وأبناء المجتمعات المتقدمة.

أنفسهم من المسؤولية. وفي هذا موقف إجرامي لا يختلفون فيه عن أي مجرم آخر

بينما لا نرى هذه الملامح على وجوهنا , رغم الثراء الطبيعي والغنى الفاحش في بلداننا المحكومة بالنفط , والذي عجزنا عن إستثماره من أجل سعادتنا , وإنما حققنا بواسطته أعلى درجات التعاسة الممكنة في حاضرنا ومستقبلنا.

ولا نملك أملا في بناء السعادة الوطنية , إلا بتسليم القيادة للشباب المتنور المتواصل المتجايل الذي نرجو أن يحررنا من تعاستنا , ويعلمنا كيف نبني آفاق السعادة الوطنية المنشودة.

فساستنا وأحزابنا وحركاتنا خبيرة في إرساء دعائم المشاريع المولدة لمزيد من التعاسة والعناء , ولا يوجد نظام حكم في بلداننا يتكلم بلغة الفرح والسعادة والأمل , وإنما جميعها تتحدث بمفردات التهديد والوعيد والخراب التعذيب , والحرمان والقتل والتغييب في المعتقلات والسجون.

المجتمعات السعيدة عندما أنظمة سياسية مستقرة , وساسة مرموقون يجيدون فنون الإرتقاء بمجتمعاتهم إلى حالات متقدمة ومتواكبة مع زمنها , وربما متقدمة عليه

وهي تسعى بجد ونشاط من أجل تعويق حركة الناس وأسرهم في أصفاد الحاجات المتفاقمة , وتسمي هذه الأساليب التعسفية سياسة وحكما , وهي إمتهان وتفريق وتبديد للطاقات ومحق للبشر الذي لا يمكنه أن يكون يوما سعيدا.

ويبدو أن من حقنا أن نحكم على أنظمة الحكم في بلداننا وفقا لمقياس السعادة والتعاسة , فإذا كانت السعادة سائدة في المجتمع فهي مقبولة وناجحة , وإذا كانت التعاسة متفوقة فأن علينا أن نقول لها بوضوح: " الشعب يريد تغيير النظام".

## خامس عشر: النفط والديمقراطية

المجتمعات العربية برغم ما عندها من الثروات , لكنها تتميّز بسيادة التعاسة والمآسي والويلات , وقلة الفرح , وإنعدامه في بعض المجتمعات التي تستلطف الحزن واللطم على الأموات والتغني بما فات.

النفط عدو الديمقراطية والعكس صحيح.
فالمجتمعات النفطية لا يمكنها أن تكون ديمقراطية أبدا.
لأن ذلك يضر كثيرا بمصالح القوى المدمنة على النفط ويؤثر في حركتها وقوتها , ولذلك فأنها لا تسمح بتحقيق الديمقراطية في مجتمعات النفط.

وقد يقول قائل أنها كلمات من وحي نظرية المؤامرة , وأقول ربما " أنها مؤامرة والعيب فينا" , ولكن الأصح أنها منهج نابع من نظرية المصلحة , فمن الأفضل التأكيد على المصلحة وليس المؤامرة , فالتفاعل القائم ما بين المجتمعات البشرية مبني على المصلحة , وما يترتب عليها من خطط وتوجهات وصراعات , وتلك بديهية وقانون يحكم سلوك المجتمعات الأرضية منذ الأزل.
وبناءا على نظرية المصلحة , فأن المجتمعات النفطية لا يمكنها أن تكون ديمقراطية , لأن ذلك يعني سيادة إرادة الشعب من خلال ممثليه الذين ينتخبهم ويمنحهم الثقة للتعبير عن رأيه وإرادته في الحياة.

ساستنا وأحزابنا وحركاتنا خبيرة في إرساء دعائم المشاريع المولدة لمزيد من التعاسة والعناء , ولا يوجد نظام حكم في بلداننا يتكلم بلغة الفرح والسعادة والأمل , وإنما جميعها تتحدث

وعندما تسير العملية الديمقراطية وفقا للأصول وتكون محكومة بدستور وطني يراعي المصالح الوطنية , فأن المجتمع سيتقدم وتتطور الخدمات العامة فيه, وسيسعى إلى أن يكون معاصرا ومتفاعلا بإرادته مع غيره من المجتمعات , وهذا معناه أنه سيحتاج إلى طاقة , وعندها سيستهلك كميات كبيرة من إنتاجه النفطي لإدامة تقدمه وتطوره.

بمفردات التهديد والوعيد والخراب التعذيب , والحرمان والقتل والتغييب في المعتقلات والسجون

فالتقدم الحضاري يحتاج إلى طاقة , ولا يمكنه أن يتواصل ويتطور بدونها , فالديمقراطية الحقيقية بحاجة إلى طاقة , وإستهلاك أعظم للنفط الموجود في أرض ذلك المجتمع.

مما سيؤدي إلى تقليل صادراته منه , وبذلك ستتأثر القوى المدمنة على النفط لقلة توفره في أنخابها الصباحية , مما سيصيبها بأعراض إنسحابية لا تشفى منها إلا بإحتساء كميات أكبر من النفط.

وبهذا فأن الديمقراطية ضد الإستفادة من النفط , وتسلبه من الآخرين , وهذا لا يمكنه أن يكون أو يتحقق , وعليه فأن الديمقراطية ممنوعة وغير ممكنة بمعناها الحقيقي.

وقد يتساءل البعض عن سبب الدفع بإتجاه الديمقراطية في بلد يملك ثالث أكبر إحتياطي للنفط في الأرض.

وينسى الناس أو يتناسون , أن الحرب لم تكن من أجل الديمقراطية , وإن شعارها كان خاليا تماما من عبارة الديمقراطية ومفاهيمها , وإنما كانت واضحة وصريحة في منطوقها الذي تم مناقشته في أروقة الأمم المتحدة , وتم عرض صور ملفقة وكاذبة لتأكيد أن الحالة خطرة جدا , وأنه سيتمكن من إمتلاك السلاح النووي في غضون ساعات , وأن لا بد من تدميره والقضاء على سلاحه.

**يبدو أن من حقنا أن نحكم على أنظمة الحكم في بلداننا وفقا لمقياس السعادة والتعاسة , فإذا كانت السعادة سائدة في المجتمع فهي مقبولة وناجحة , وإذا كانت التعاسة متفوقة فأن علينا أن نقول لها بوضوح: " الشعب يريد تغيير النظام**

وعندما إنكشف الخداع والتضليل وسقطت الأقنعة وتعرت الأكاذيب , راح الفاعلون والمتورطون بالمأساة يبحثون عن مخرج يبررون تواصلهم , ويحافظون على كبريائهم ومصداقيتهم , ولهذا تم التصريح ببدعة الديمقراطية أو كذبتها وما أدت إليه من تداعيات قاسية.

أي أنه تم تصنيع ديمقراطية ذات مواصفات لتأكيد الخراب والدمار ومنع التقدم وإدامة أسباب الصراع , وإلهاء البشر ببعضهم , وتقليل حاجاتهم من النفط وتحويله لسد حاجات الآخرين.

ينسى الناس أو يتناسون , أن الحرب لم تكن من أجل الديمقراطية , وإن شعارها كان خاليا تماما من عبارة الديمقراطية ومفاهيمها , وإنما كانت واضحة وصريحة في منطوقها الذي تم مناقشته في أروقة الأمم المتحدة , وتم عرض صور ملفقة وكاذبة لتأكيد أن الحالة خطرة جدا , وأنه سيتمكن من إمتلاك السلاح النووي في غضون ساعات , وأن لا بد من تدميره والقضاء على سلاحه

فلكي يتحقق التوازن ما بين إمتلاك النفط وتواصل ما حصل , لا بد من العمل الجاد والذكي اللازم لتأمين أسباب الخداع والتضليل والخراب والتدمير وتسهيل قدرات أخذ النفط , ومنع أهله من إستخدامه لتحقيق التقدم والأمن والسلام.

فالسلام مثل الديمقراطية فهو ضد النفط , لأن الصراعات والحروب في المجتمعات النفطية تكون عاملا مهما لتطوير المصانع العسكرية وبيع السلاح , وأن نسبا كبيرة جدا من عائدات النفط يتم شراء الأسلحة بها , فالمجتمعات النفطية من أكبر أسواق الأسلحة في الأرض وعقودها دائما تكون مليارية الطباع والخصائص والمواصفات.

## سادس عشر: إغفال المصلحة الوطنية

في عرف التفاعلات القائمة ما بين القوى الأرضية , أنها تتصارع من أجل مصالحها ومصادر القوة والطاقة اللازمة لبقائها وهيمنتها , ولا توجد قوة أرضية ما سعت بهذا الإتجاه.

إنه قانون الحياة على الأرض , وما تغير منذ الأزل , وسيتواصل أبدا.

فالقوى تتصارع من أجل مصالحها , ولا توجد دولة واحدة في هذا العالم لا تعمل من أجل مصالحها وقوتها وقدرتها على التمكن والتقدم والرقاء.

وربما الدول الوحيدة التي تغفل مصالحها هي الدول العربية , التي يجيد معظمها مهارات وقدرات ومناهج معاداة مصالحها.

فالبلدان التي فيها قلاقل وإضطرابات , إنما تعمل فيها القوى السياسية ضد مصالح البلد , وتتوهم بأنها تحقق مصالحها الفردية والحزبية والفئوية , وتنسى بأنها أصبحت ضد نفسها ووطنها وشعبها من أجل تحقيق مصالح الآخرين.

فلماذا لا نتعلم فن ومهارات وخبرات تحقيق مصالحنا الوطنية؟

فلو عملنا من أجل مصالحنا الوطنية , لأدركنا بأننا نتفاعل بروح واحدة , وإرادة ثابتة , وأن هناك ما لا يحصى من المشتركات التي تجمعنا ونوظفها للوصول إلى أهداف وطنية نبيلة سامية.

ولهذا فمن الوطنية دعوة جميع الأحزاب والفئات والقوى للعمل على تحقيق مصالح الوطن والمواطن أولا.

وعليه فأن غياب مهارات وخبرات وآليات تحقيق المصالح الوطنية , يتسبب بتوفير الفرص الكافية للآخرين لكي يحققوا مصالحم النشودة في ديارنا.

## سابع عشر: روحية الفريق الواحد وبناء الأوطان

أية فرقة رياضية يتفاعل أعضاؤها بقوة وإبداع لتحقيق الهدف المشترك الذي يطمحون إليه , وهو الفوز على الخصم في المباريات الرياضية.

والفريق الرياضي لا يحقق الفوز والتقدم , إذا لم يتعاون أعضاؤه ويساهموا كيدٍ واحدة للوصول إلى الهدف المنشود من نشاطهم.

وهذا ينطبق على أي ميدان في الحياة والعمل سواء كان إداريا أو سياسيا أو اجتماعيا.

إن أي عمل يقوم به البشر, إذا فقد روحية وآليات الفريق الواحد, فانه لن ينجز شيئا ولن يصل إلى نتيجة مفيدة للعاملين.

وفي مجتمعاتنا لا توجد قدرة عند الشخصية السياسية للتحلي بروحية الفريق الواحد , وحتى على مستوى الحزب الواحد.

وقد يكون من أسباب ذلك, الأنانية المفرطة والشك الكبير بالآخر , وغياب الثقة المتبادلة وانكماش الشعور الوطني , وغياب الهدف الجامع لأية مجموعة سياسية تتصدر الحكم.

لقد سبقنا معظم الدول من حولنا في تأسيس دولنا, لكننا لم نتمكن وعلى مدى ما يقرب من قرن من تأسيس نظام سياسي ثابت ومفيد للأجيال.

## ثامن عشر: التفاعل القبلي القديم الجديد

التأريخ الذي نقرأه هذه الأيام بسلبية عارمة , ونتلقاه بعقول معطلة نائمة ومبرمجة , يؤكد لنا حكايات عن السلوك القبلي , وكيف كانت القبائل تهاجم بعضها وتستحوذ على ما عند غيرها , وذلك بالغزو أو الإغارة ومنها اشتقت كلمة " غارة" التي تطورت في عصرنا المتحضر لترتبط بالطائرات , التي ترمي بقنابلها وصواريخها على المجتمعات , لتدمر بنيتها التحتية , وتقتل منها الآلاف في لحظات.

ربما الدول الوحيدة التي تغفل مصالحها هي الدول العربية , التي يجيد معظمها مهارات وقدرات ومناهج معاداة مصالحها

البلدان التي فيها قلاقل وإضطرابات , إنما تعمل فيها القوى السياسية ضد مصالح البلد , وتتوهم بأنها تحقق مصالحها الفردية والحزبية والفئوية , وتنسى بأنها أصبحت ضد نفسها ووطنها وشعبها من أجل تحقيق مصالح الآخرين

لو عملنا من أجل مصالحنا الوطنية , لأدركنا بأننا نتفاعل بروح واحدة , وإرادة ثابتة , وأن هناك ما لا يحصى من المشتركات التي تجمعنا ونوظفها للوصول إلى أهداف وطنية نبيلة سامية.

لقد سبقنا معظم الدول من حولنا في تأسيس دولنا, لكننا لم نتمكن وعلى مدى ما يقرب من قرن من تأسيس نظام سياسي ثابت ومفيد للأجيال

والغزو –قديما– في حقيقة أمره هو نشاط إقتصادي , في وقت لا يوجد فيه مصدر لتطوير الواقع الإقتصادي بسرعة , إلا بالإستحواذ على ما عند الآخرين , لتوفير القوة والمال والسلاح والرجال والكثير من المواشي والسبايا , التي كانت تعبر عن القوة المحسوبة بعدد الخيول والجمال والماشية وغيرها من الحيوانات الداجنة.

فلم يكن للأرض المتصحرة قيمة , لأنها لا تعطي ما يغني من جوع, أو لأن البشر لا يرى أن فيها قيمة تتفوق على الغزو.

ويبدو أن التطور الإقتصادي حاجة غريزية قائمة في أعماق البشر.

ومن يتأمل الأحداث يدرك تماما أن العامل الرئيسي الذي يكمن وراء أسباب الغزوات والحروب هو الإقتصاد , الذي يعني القوة والسيطرة والنماء لدى القبيلة أو الأمة أو المجموعة , التي تمكنت من السيطرة على مجموعة أخرى , وحققت حرية التصرف بممتلكاتها , وكل ما يرتبط بها من مفردات اقتصادية ومصادر قوة.

فالناس في الزمن الماضي كانت تغزو بعضها , ولم تفكر في إستثمار ما عندها وتنميته , لأن ذلك يحتاج إلى وقت , ولأن القلق قائم والإستقرار صعب , والغزو يوفر النماء الأسرع ويمنح المردودات النفسية والقيم الذاتية , التي تؤسس لأسطورة ومجد المجموعة البشرية أيا كان إسمها.

وقد تواصلت البشرية في سلوك الإغارة على بعضها البعض وإمتلاك ما عند غيرها.

وبهذا تم كتابة العديد من صفحات التأريخ وطرح ما نقرأه فيها من موضوعات , ذات فكرة واحدة وخيط واحد يربطها ببعضها وعنوانه القوة والسيطرة والمال, وكلها يمكن إجمالها بالعامل الإقتصادي , الذي كان يكمن وراء معظم الغزوات والحروب.

ولكي يتحقق الغزو لا بد من وجود مجاميع بشرية تسمى القبيلة أو العشيرة أو الأمة , وغيرها من المسميات التي تعطي صفات مميزة وفارقة لمجموعة بشرية ما, مما يؤهلها ويؤهل غيرها من توفير الأسباب اللازمة للدخول في حرب معها أو تحقيق الغزو.

وكما هو معروف فقد مارست شعوب الأرض كافة وبلا إستثناء , هذا السلوك الذي تواصل حتى القرون الأخيرة , حيث أخذت المفاهيم تتخذ منطوقا آخر لكي تحقق ذات الغاية القبلية , التي أمضت البشرية عمرها الطويل في تفاعلاتها الصاخبة.

وقد تطور مفهوم الحروب والغزوات لكنه بقي مرتبطا بالإقتصاد , وهو على هذا الحال الجامد إلى اليوم.

أي أن البشرية لم ترتقي في مفاهيمها ولم تسمو بنفسها إلى مستوى التطور الحضاري المادي , الذي أسسته في الوقت الحاضر , وإنما بقيت سجينة الرؤى والأفكار البالية القديمة وأسيرة النظرة القبلية والعشائرية , وبصورة عامة وعلى مستوى البشرية جمعاء, إلا ما ندر في ميادين التفاعلات القائمة في الأرض , والتي تديرها منظمات ذات أهداف إنسانية تريد أن توقظ البشرية من هذا الإستنفاع المؤلم , الذي يكلفها الكثير من الخسائر الحضارية.

فالبشرية لا زالت تستثمر في الحروب وتحسبها نشاطا إقتصاديا مربحا , وقوة مضافة إلى ما

**من يتأمل الأحداث يدرك تماما أن العامل الرئيسي الذي يكمن وراء أسباب الغزوات والحروب هو الإقتصاد , الذي يعني القوة والسيطرة والنماء لدى القبيلة أو الأمة أو المجموعة , التي تمكنت من السيطرة على مجموعة أخرى , وحققت حرية التصرف بممتلكاتها , وكل ما يرتبط بها من مفردات اقتصادية ومصادر قوة**

الحروب في عرف الدول الغازية تنمي الإقتصاد , وتزيد من المصادر اللازمة للحركة الإقتصادية فيها, وهي تشنها وفقا لذرائع مشوهة , لكي تخفي وراءها الدافع الحقيقي والقوي , وهو الإستحواذ على المصادر الإقتصادية للآخر المستهدف أو الذي يتم غزوه

**ما يجري في عالمنا المعاصر من حروب يكمن وراءها وبصورة أساسية العامل الإقتصادي , وتوفير المواد الأولية اللازمة للقوة الإقتصادية للمجموعة التي**

عندها من القدرات , ولهذا فهي تسعى إليها وتمارسها على أنها نشاط ضروري لا بد منه لكي تتواصل الحركة الإنمائية , ولتتمكن من توظيف إبداعات العقول البشرية في مشروعات إستثمارية جديدة.

والحروب في عرف الدول الغازية تنمي الإقتصاد , وتزيد من المصادر اللازمة للحركة الإقتصادية فيها, وهي تشنها وفقا لذرائع مشوهة , لكي تخفي وراءها الدافع الحقيقي والقوي , وهو الإستحواذ على المصادر الإقتصادية للآخر المستهدف أو الذي يتم غزوه.

والملاحظ أن الكثير من التغييرات الكبيرة , التي قامت في الأرض إنما كان للحروب دور مهم فيها.
وما يجري في عالمنا المعاصر من حروب يكمن وراءها وبصورة أساسية العامل الإقتصادي , وتوفير المواد الأولية اللازمة للقوة الإقتصادية للمجموعة التي قررت أن تغزو أو أن تحارب.

ومَن ينظر في حروب القرن العشرين سيرى أن العامل الإقتصادي يشترك في الكثير من أسبابها, برغم أنها قد إتخذت منطوقا فكريا ودينيا وأخلاقيا وغيرها من الأسباب والشعارات, لكن هذه الموضوعات يحركها العامل الإقتصادي أيضا.

فيكون خلاصة أسباب الصراعات كامنة في الإقتصاد والقدرة على كسب المال والغنائم , وبتوفر القوة الإقتصادية تتحقق باقي أركان القوة والسيادة والإستبداد على مستوى الأفراد والجماعات والأمم.

وبعد أن إستهلكت البشرية الكثير من طاقاتها في حروب القرن العشرين المريرة ومشاكله العسيرة, تراها في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين تتعامل بذات العقلية والرؤى والتصورات الجامدة وإن تطورت آليات تنفيذها, ولا زالت تحسب الحرب نشاطا إقتصاديا , والغزو يوفر ثروة مادية تساهم في دعم القوة والإقتدار , ولهذا أصبحت الدول الغنية بالمصادر الإقتصادية هدفا تتسابق عليه القوى القادرة , لكي تحقق الوصول الأسرع إليه.

مما أدخل البشرية في صراعات جديدة ذات نتائج قاسية , وستلقي بظلالها على جزء كبير من القرن الحادي والعشرين, وستعطل حركة البشرية في الإتجاهات الحضارية الصحيحة , لأنها ربما ستستخدم تقنيات الدمار الهائلة من أجل الوصول إلى الهدف , وبذلك تحصل الكارثة الكبرى والفاجعة المروعة التي لم تعهدها الأرض من قبل.

وفي بداية العقد الثاني لهذا القرن أصبح واضحا أن الحروب ليست نشاطا إقتصاديا , وإنما مشروع دمار وخراب وويلات ومصائب لا تليق بالإنسانية , وهي تدعي الحضارة والتقدم وتنادي بالمبادئ الراقية, التي تحقق رقي الإنسان وتحفظ كرامته وحريته وحقه في التعبير عن رأيه.

الحروب أصبحت عاهة كبيرة تواجه البشرية , وعليها أن تجد لها مخرجا منها وأن تفكر خارج الصندوق الأسود , الذي أمضت القرون في زواياه الظلماء , التي لا تعطي إلا الشقاء والكراهية والأحقاد.

قررت أن تغزو أو أن تحارب

خلاصة أسباب الصراعات كامنة في الإقتصاد والقدرة على كسب المال والغنائم , وبتوفر القوة الإقتصادية تتحقق باقي أركان القوة والسيادة والإستبداد على مستوى الأفراد والجماعات والأمم

الحروب أصبحت عاهة كبيرة تواجه البشرية , وعليها أن تجد لها مخرجا منها وأن تفكر خارج الصندوق الأسود , الذي أمضت القرون في زواياه الظلماء , التي لا تعطي إلا الشقاء والكراهية والأحقاد

أصبح من اللازم علينا أن نخرج من أفكارنا القديمة ونرى بوضوح ودقة وعلمية ما سيؤول إليه الحال , لو أمضت البشرية مسيرتها بهذه العقلية التي أمضت عليها القرون العشرين

البشرية اليوم تقيد حركة الحياة وتعطل قدراتها الخيرة بالإستثمار في الحروب, لأنها قد تطورت وامتلكت من وسائل الخراب ما لم تمتلكه في تأريخها, ونتيجة لذلك تحولت الحروب إلى قوة تدمير شاملة , لكل الأطراف الفاعلة في معادلة الدمار والخراب الأرضي في أية بقعة فيها مهما بعدت.

لأن ما يحصل في أي مكان من الأرض يؤثر في أجزائها الأخرى, وأصبحت نظرية الأواني المستطرقة تنطبق على ظاهرة الحياة الأرضية في عصرنا التكنولوجي الفائق التطور.

وأصبح من اللازم علينا أن نخرج من أفكارنا القديمة ونرى بوضوح ودقة وعلمية ما سيؤول إليه الحال , لو أمضت البشرية مسيرتها بهذه العقلية التي أمضت عليها القرن العشرين, لأن النتائج المتمخضة عن أي نشاط مهما كان ستكون مضاعفة التأثير , بما لا يحصى من المرات بالقياس بنتائجها في القرن العشرين.

وصار من الضروري أن يفكر قادة البشرية بعقلية البشرية جمعاء , قبل أن يفكروا بعقلية القبيلة والعشيرة والأمة وغيرها من أنماط التفكير , التي تقرر وجود حالة الصيرورة المعزولة عن حركة البشرية المعاصرة , وهي في دور التحول إلى محيط إنساني واحد بعيدا عن الأنهار والسواقي والبحار.

فعالمنا الجديد ما يحصل في أية بقعة منه , ترى آثاره وتسمع صداه في جميع بقاعه الأخرى, حيث تمكنت الأرض من التعبير الأوضح عن كرويتها , وكل الصفات المرتبطة بكونها كرة تتحرك في فضاء مجهول , وتطالب مَن عليها أن يحدقوا بالأمور بزاوية أخرى.

فعندما تقترب الأرض من وعيها الكروي , لا بد لقادة البشرية أن يفكروا ويتعاملوا مع الأشياء بكروية واعية , وأن ينظروا إلى المواقف والأشياء بزاوية الدائرة الكاملة.

فما عاد ممكنا النظر بزوايا حادة للأمور في هذا العالم, بل على الجميع أن يرى بزوايا منفرجة , ويحاول الإقتراب ما يستطيع إلى النظرة الدائرية أو الكروية للأحداث والموضوعات المختلفة.

عالمنا الجديد الذي أخرجنا من الأنفاق والكهوف , ورمى بنا إلى الفضاء الواسع الرحيب , علينا أن نرتقي إلى قوانينه ونظرياته الجديدة.

فالقرن الحادي والعشرين يختلف تماما عن القرن العشرين , وإيقاع الحركة القائمة فيه ذات سرعة فائقة , وما سيحصل فيه أما أن يتطور خارج المعقول أو يتحقق الخراب والدمار , الذي يتفوق على خيال وتصور العقول.

فهل سنكون بمستوى القرن الجديد, أم سننحدر إلى عالم البدايات , ونقضي على وجودنا الحضاري بالحروب والغزوات؟

سؤال سيجيب عليه القرن الحادي والعشرين المظفر!!

## تاسع عشر: الإهتمام بالذات ثورة

تتوطننا نزعة إسقاطية , خلاصتها , أننا نجيد حمل الأقواس ورمي سهام "هو" على الآخرين , ولا

من الضروري أن يفكر قادة البشرية بعقلية البشرية جمعاء , قبل أن يفكروا بعقلية القبيلة والعشيرة والأمة وغيرها من أنماط التفكير

عندما تقترب الأرض من وعيها الكروي , لا بد لقادة البشرية أن يفكروا ويتعاملوا مع الأشياء بكروية واعية , وأن ينظروا إلى المواقف والأشياء بزاوية الدائرة الكاملة

عالمنا الجديد الذي أخرجنا من الأنفاق والكهوف , ورمى بنا إلى الفضاء الواسع الرحيب , علينا أن نرتقي إلى قوانينه ونظرياته الجديدة

أساليب تربيتنا في البيت والمدرسة والمجتمع مبنية على تعزيز النزعة الإسقاطية في لا وعينا الفعّال , والذي يأخذنا إلى حيث يشاء , دون قدرة منا على توجيه إتجاه حركته وتحديد نواياه

نريد أن ننظر إلى ذواتنا وتفهم سلوكنا ونفوسنا.
وجميعنا لديه هذه الخاصية السلوكية , التي نشأنا عليها وترعرعنا في أحضانها منذ الصغر وبتفوق نادر.

فأساليب تربيتنا في البيت والمدرسة والمجتمع مبنية على تعزيز النزعة الإسقاطية في لا وعينا الفعّال , والذي يأخذنا إلى حيث يشاء , دون قدرة منا على توجيه إتجاه حركته وتحديد نواياه.
وهذه العاهة التربوية قد ساهمت في شل قدراتنا على التعبير والتفاعل المتطور مع الحياة , لأنها تبرؤنا وتنزهنا , وترمي بكل ما فينا وعلينا على الآخر المجهول أو المفترض.
وهي التي تساهم في إختراع القميص المناسب لكل مرحلة في حياتنا , لكي نتهمه بما ليس فيه , ونحمّله ما نريد , والغاية في صدر الغيب البعيد, فتستريح نفوسنا ونتبرأ من ذنوبنا وإحساسنا بالخطأ والعجز والمسؤولية.

فقد ترعرعنا على أن سبب الجهل والتخلف والجوع والفقر هو الآخر , الذي نسميه ما نسميه من التسميات كالإستعمار وغيره.
وأمضينا القرن العشرين بهذا المنطوق التربوي التعجيزي , الذي ما منحنا القدرة للخطو إلى الأمام.
ولازلنا نمارس نشاطاتنا على ضوء قاعدة "هو".
وأصبح كل واحد منا يرى المتهم "هو".
فترانا عندما نتكلم مع بعضنا نحسب أنفسنا على صواب مطلق , والآخرين من حولنا مخطئين وجاهلين ومتخلفين وفقا لقدارت "هو" الفاعلة في أعماقنا.

ولا نجد أحدا منا ينظر لنفسه, بل ما أسهل عليه أن يتهم ويرجم الآخرين بالغيب, والواحد من الآخرين يسلك ذات السلوك , فيكون الفرد من الآخرين والكل في محنة تربوية صعبة.
مفادها تنزيه الذات الفردية وإتهام المجموع وإسقاط الأسباب على "هو".

وقد نهضت هذه الحالة في تفسيرات للحالات القائمة والمتفاعلة في المجتمع , والتي إنتهت إلى أن التخلف هو المسؤول عن المشاكل القائمة في مجتمعنا.
وإستنتاجا كهذا لا يقدم حلا بقدر ما يساهم في ترسيخ المشكلة وتأكيد اليأس وعصيان الحل وقتل الأمل والتفاؤل.
"هو" التخلف الذي نعزف على أوتاره الأبدية , ولا نتمكن من مواجهته وتشريحه وتحليله , وصناعة الذات الواعية المثقفة الفاعلة , المنتجة المتحدية المتواكبة المتوافقة مع عصرها.

ويبدو دور "هو" واضحا وقويا في كتاباتنا وتعليقاتنا على الموضوعات القائمة في الحياة , والمشكلات التي نتصدى لها , وكأننا نحمل ذات المنطق الذي كتبت به الأقلام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , فمحونا القرن العشرين تماما من الذاكرة والوجدان الثقافي.

ولا زلنا نتهم الناس بالجهل والتخلف وغيرها من الصفات التي يمليها علينا قانون "هو".
وما من أحدٍ منا يتحدث عن موضوع آخر يمكنه أن ينفع الناس.
والحقيقة التي لا نريد أن نواجهها جميعا.

**قد ترعرعنا على أن سبب الجهل والتخلف والجوع والفقر هو الآخر , الذي نسميه ما نسميه من التسميات كالإستعمار وغيره.**

ترانا عندما نتكلم مع بعضنا نحسب أنفسنا على صواب مطلق , والآخرين من حولنا مخطئين وجاهلين ومتخلفين وفقا لقدارت "هو" الفاعلة في أعماقنا

**الحقيقة التي لا نريد أن نواجهها جميعا.**
**هي أن كل واحد منا يهمل نفسه ولا يراجع أرشيف أفكاره ومعتقداته , رغم سرعة تطور زمانه وتواكب المستجدات فيه.**

يبدو أن إتخاذ الدين كوسيلة للتفاعل الدامي الدامي , إنما يعكس في مضامينه عدوانية كامنة ضد الدين , لأن إرادة اللاوعي المختبئة وراء السلوك , تشير وتعزز المشاعر المستترة الداعية إلى كراهية الدين

هي أن كل واحد منا يهمل نفسه ولا يراجع أرشيف أفكاره ومعتقداته , رغم سرعة تطور زمانه وتواكب المستجدات فيه.

فلماذا لا نحارب "هو" ونعود إلى أنفسنا لنراجعها ونهذبها , ونصنع منها وجودا إنسانيا طيبا ومفيدا وراجحا.

وعندها سيكون كلٌ منا فردا إيجابيا نافعا , وبذلك سيحقق المجتمع بأسره التقدم والمعاصرة.

فلنبتعد عن منطق "هو" , وأن لا نرجم الآخرين بالسوء ونحتكر الحسنات لأنفسنا , فذلك بهتان كبير أثبتته الأحداث وما تمخض عنها من تفاعلات يندى لها جبين الحجر!!

الذي يستخدم الدين في القتل والتعبير عمّا ليس في الدين بقناع الدين , إنما يريد الإنتقام من الدين.

## عشرون: الفشل وتداعيات الخسران

الفشل المتواصل تسبب في تداعيات متواكبة , واضطرابات فكرية وسلوكية مضطردة , أدت إلى إنحرافات وتفاعلات متطرفة على مستويات متعددة.

الفشل العربي من أقصى الوطن إلى أقصاه , قد حقق مرارة حضارية , وشعورا قاسيا بالإنكسار والإندحار.

بتواصل الفشل العربي , فأن المسرح سيكون مؤهلا لمثول العديد من الفرق والجماعات والفئات المنبعجة , للتعبير عن نقمتها وإرادتها الإنتحارية اليائسة , الهادفة لتحويل الوجود إلى نار ودماء

وفي زمن التواصل المعرفي والمعلوماتي , وإنفتاح الدنيا وتمركزها في شاشة صغيرة أصغر من حجم الجيب , إنطلقت الطاقات الكامنة واتخذت مسارات لها قدرات تدميرية للذات والموضوع , وكأن الأمة كانت مدثرة ومسجونة في زنزانة الحرمان , والتغييب والسحق والتهميش والبهتان , مما دفع إلى الهيجان السلوكي والنفسي والإنفعالي , وإصابة الملايين من أبناء الأمة بالإكتئاب الحضاري , وربما حتى الجنون , والإنتحار الفكري والنفسي , والإقدام على ما لا يمكن تصوره من التفاعلات البشعة في جوهرها ومظهرها.

ويبدو أن إتخاذ الدين كوسيلة للتفاعل الدامي الحامي , إنما يعكس في مضامينه عدوانية كامنة ضد الدين , لأن إرادة اللاوعي المختبئة وراء السلوك , تشير وتعزز المشاعر المستترة الداعية إلى كراهية الدين , فالذي يستخدم الدين في القتل والتعبير عمّا ليس في الدين بقناع الدين , إنما يريد الإنتقام من الدين.

لأنه يريد القول بفعله , أن الدين لم يفلح , وكل المحاولات والتطلعات الحضارية قد وضعت في حفرة الهوان , وبهذا فهو يسعى إلى تحقيق إرادة (آخر الدواء الكي) أو إلى التأكيد على (أن الداء هو الدواء).

وهذه الظاهرة العاصفة في البلاد العربية , تشير إلى إنبعاجات لقدرات وطاقات مضغوطة , عجزت الأمة عن الوصول لإبتكار نظام سياسي وحضاري يستوعبها , ويهذبها , ويمنحها الفرصة للإستثمار في مشاريع حضارية إيجابية.

إن الحل الأمثل والأصدق والأصوب لمواجهة هذه الظاهرة قبل أن تتنامى وتتسع , وتتحول إلى مأساة حضارية مروعة , تقضي على الدين والوجود العربي في كل مكان , أن يتنادى أبناء الأمة العقلاء الحكماء , لوضع الأسس المعاصرة لإنطلاقة حضارية ديمقراطية

وبتواصل الفشل العربي , فأن المسرح سيكون مؤهلا لمثول العديد من الفرق والجماعات والفئات المنبعجة , للتعبير عن نقمتها وإرادتها الإنتحارية اليائسة , الهادفة لتحويل الوجود إلى نار ودماء.

إن الحل الأمثل والأصدق والأصوب لمواجهة هذه الظاهرة قبل أن تتنامى وتتسع , وتتحول إلى مأساة حضارية مروعة , تقضي على الدين والوجود العربي في كل مكان , أن يتنادى أبناء الأمة العقلاء الحكماء , لوضع الأسس المعاصرة لإنطلاقة حضارية ديمقراطية

العقلاء الحكماء , لوضع الأسس المعاصرة لإنطلاقة حضارية ديمقراطية , معززة بالإنجازات والمشاريع الأكيدة التنامي والنجاح , وأن يكون على رأسها القضاء على الفقر والتوزيع العادل للثروات , والتصدي المسؤول لمشكلة السكن والبطالة.

إن بقاء الأنظمة العربية وهي ترفع رايات الفشل , وعدم القدرة على التفاعل مع عصرها , وتعيد ذات المناهج , وتستعمل ذات المفردات المملة المتكررة الخاوية الخالية من إرادة الحياة , سيؤدي إلى إنفجارات مدوية في كل مدينة , لأن الوضع متناقض , وغير واضح الملامح , وفيه تفاعلات صبيانية إنفعالية ذات ضبابية كثيفة , خصوصا وقد وجد الناس أنهم في زمن الديمقراطية الممسوكة من ذيلها , وكأنها بلا رأس ولا عيون.

فالحل يكمن في صناعة النجاح على جميع المستويات , فالواقع لا يتحمل أي نوع من الفشل , لأن أي خطوة فاشلة هي القشة التي ستقصم ظهر البعير حتما.
فلنفكر بالخطوات والتفاعلات الناجحة , فما عاد الشعب يطيق الفشل , لأنه قد سئم سلسلة الفشل المدمرة لوجوده المعاصر , على مدى قرنٍ أو يزيد!!

## واحد وعشرون: الأوطان المُشخصنة

الوطن كقيمة جامعة ومستوعبة لمحتوياته وأطيافه الحياتية , أصابه ضعف وإضطراب في وعي الناس وسلوكهم العام , ذلك أن الوطن قد إرتبط بالشخص الحاكم.
فهذا يأتي ويفعل ما يفعل , وذاك يأتي ليمحو كل ما فعل , ويفعل ما يفعل , ثم يأتي من يعيد الكرة وهكذا دواليك.
وتركز التفكير على الإمساك بالحكم والكرسي , ومنع أي فرد من الإقتراب منه , لأن ذلك يعني جريمة وخيانة وطنية كرسوية كبرى.
وصار التجريم والتخوين رخيصا وسهلا.

وبسبب ذلك تميّع الحس الوطني , وأصبح الوطن بلا قيمة , لأنه ما عاد يمثل إلا شخصا أو كرسيا. ومثلما نكره الشخص صرنا نكره الوطن!

وقد تفاعلت في لا وعينا ووعينا هذه المشاعر على مر العقود الصعبة العصيبة , حتى أنتجت ما نحن عليه اليوم وكأننا نعود إلى نقطة ما تحت الصفر بكثير.
النقطة التي بدأناه في بدايات القرن العشرين ترانا نعود إلى دونها في بدايات القرن الحادي والعشرين.
أي أن كل البلد ينقلب على نفسه وينقض عليها بقوة وعنفوان!

والسؤال المحير هو لماذا هكذا قد مضينا؟
لماذا دولة الباكستان التي بدأت في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين تحقق فيها نظام سياسي دستوري , وكذلك الهند والصين والعديد من الدول الأخرى, بينما بلداننا لم تنجح في تحقيق نظام سياسي ثابت يخدم الأجيال , ويساهم في تفاعلها وتطورها وتقدم البلاد؟

لماذا؟

الحل يكمن في صناعة النجاح على جميع المستويات , فالواقع لا يتحمل أي نوع من الفشل , لأن أي خطوة فاشلة هي القشة التي ستقصم ظهر البعير حتما.

آليات التفاعل مع الموضوعات بصورة عامة لم تختلف عن الآليات التي عهدناها في السابق. فهي آليات إنقلابية كرسوية سلطوية قبلية عشائرية مذهبية وتحزبية

إن غياب الأفق الفكري والسياسي الوطني هو الذي أصابنا بمقتل.
فعندما يمضي أي بلد عقودا بلا سياسة وساسة وعلم وتخطيط , وبلا ستراتيجيات وخطط لتنمية وطنية, ينتهي إلى ما نحن عليه اليوم

لقد أمضينا قرنا من الزمان نتخبط في أحضان الفردية والقمع والترهيب, واحتقار القانون وغياب الدستور فتحولت بلداننا إلى أشخاص وأحزاب وفرق ومجاميع.
ولا أحد يقول إلا بإسم الأشخاص

علينا أن نتساءل ونفكر بصدق ووضوح , وأن نواجه أنفسنا بشجاعة وقوة وعلمية ونزاهة.
إن الزمن يعيد نفسه.
وما يحصل اليوم قد لا ينجب لنا أحسن مما أنجبت البارحة.
بل أن الأمور تبدو أنها تسير إلى منحدر عميق , وإلى توجهات تعيد نفسها وتنقض على مؤسسة الوطن ومعاني المواطنة والوطنية.

فآليات التفاعل مع الموضوعات بصورة عامة لم تختلف عن الآليات التي عهدناها في السابق.
فهي آليات إنقلابية كرسوية سلطوية قبلية عشائرية مذهبية وتحزبية.
وهذه الآليات لا تصنع أوطانا ومواطنة ووطنية , ولا تبني دولا قوية , ولا تؤسس لنظام سياسي مستقر.
إنها آليات ضيقة الأفق ومعزولة عن آليات الوجود الوطني , وصناعة الأنظمة السياسية في العالم.
إنها آليات تمتاز بالفردية والتسلطية والتبريرية والإسقاطية , وتنزيه الكرسي من الأخطاء , وإختيار عدو توجه إليه كل أسباب الإخفاقات , وصناعة آلة الترهيب والتعذيب والقتل والإغتيال تحت شتى المسميات والرايات والمعتقدات والتصورات.
وهكذا إنتهت الحالة إلى ما هي عليه الآن من صراعات وتبريرات ومناوشات كرسوية لا تنفع.

إن غياب الأفق الفكري والسياسي الوطني هو الذي أصابنا بمقتل.
فعندما يمضي أي بلد عقودا بلا سياسة وساسة وعلم وتخطيط , وبلا ستراتيجيات وخطط لتنمية وطنية, ينتهي إلى ما نحن عليه اليوم.
لقد أمضينا قرنا من الزمان نتخبط في أحضان الفردية والقمع والترهيب, واحتقار القانون وغياب الدستور فتحولت بلداننا إلى أشخاص وأحزاب وفرق ومجاميع.
ولا أحد يقول إلا بإسم الأشخاص.

وكل ما تملكه أية سلطة, هو الوعود والخطابات واللافتات التي لا تطعم من جوع ولا تغني من فقر. ولو عدنا إلى ما كتبه بعض المفكرين والشعراء منذ أن قامت دولنا, لوجدنا أنهم كانوا يتحدثون عن ذات الموضوعات التي نتحدث عنها اليوم, وكأنهم يعيشون بيننا هذه الأيام.
لقد كتبوا عن ذات المعاناة وبذات الأفكار والمنطلقات التي لم تتحقق.
وها نحن نعيد كتابتها والعيش في خضم عنائها مرة أخرى.
إن كل ما نكتبه هو تكرار لما قد كُتب في بداية القرن العشرين!!
وهكذا فنحن قد عدنا إلى ما قبل خط الإبتداء وبعجائبية غير مسبوقة في التأريخ.
وعلينا أن نبحث ونستخلص الدروس التي تفيد أوطاننا إذا نحن نرغب بوطن!

## ثاني وعشرون: رؤية الفوارق وتأكيدها

مجتمعاتنا فيها ما يجمعها أكثر مما يفرقها , فعلينا أن نبتعد عما يفرقنا وأن نستثمر فيما يجمعنا , ويؤسس لوطن مرفه سعيد بلا ويلات ونزاعات.
ولو تأملنا بشفافية وصدق لوجدنا أسبابا تجمعنا وتوحدنا , تتفوق مئات المرات على ما يفرقنا من أسباب.

والدول في العالم فيها ما يفرقها وما يجمعها, لكنها تبتعد عما يفرق , وتستثمر ما يجمع مهما كان ضئيلا , كما أن أبناءها أوجدوا صيغا للتفاعل والصيرورة القوية في وعاء الوطن , الذي يحقق الحياة

الغريب في حالنا عموما, أن فينا من عوامل الإجتماع والتوحد أكثر من عوامل التفرق والشقاق, لكننا نلغي أي عامل لجمعنا , وننحدر بقوة نحو إستثمار ما يفرقنا ويؤذينا

**هكذا حالنا اليوم, فأسباب إجتماعنا وصيرورتنا الواحدة , هي أقوى وأكبر من أسباب وعوامل تفرقتنا , لكننا لا نراها , ونتعامل مع أنفسنا ومجتمعنا بمواقف سلبية , ونظرات سوداوية يائسة , لا تعرف للضياء طعما ولا للنور لونا , وتنغمس في بهتان الظلامية والجهل الأبيد.**

نحن بحاجة إلى أن نعيد النظر في رؤيتنا للأمور من حولنا وفينا.
وأن نتحلى بالمنطق الإيجابي, منطق التفاؤل والإيمان, فلا يأس ولا قنوط مع الإيمان

الطيبة للجميع.

والغريب في حالنا عموما, أن فينا من عوامل الإجتماع والتوحد أكثر من عوامل التفرق والشقاق, لكننا نلغي أي عامل لجمعنا , ونندفع بقوة نحو إستثمار ما يفرقنا ويؤذينا.

وهكذا حالنا اليوم, فأسباب إجتماعنا وصيرورتنا الواحدة , هي أقوى وأكبر من أسباب وعوامل تفرقتنا , لكننا لا نراها , ونتعامل مع أنفسنا ومجتمعنا بمواقف سلبية , ونظرات سوداوية يائسة , لا تعرف للضياء طعما ولا للنور لونا , وتنغمس في بهتان الظلامية والجهل الأبيد.

ولهذا فنحن بحاجة إلى أن نعيد النظر في رؤيتنا للأمور من حولنا وفينا.

وأن نتحلى بالمنطق الإيجابي, منطق التفاؤل والإيمان, فلا يأس ولا قنوط مع الإيمان.

فالإيمان شمس تضئ الوجود البشري , بالحياة والتفاؤل وحب الآخرين , والتفاعل معهم بروح إنسانية سامية , ذات قيمة في الأرض والسماء.

الإيمان شمس تضئ الوجود البشري , بالحياة والتفاؤل وحب الآخرين , والتفاعل معهم بروح إنسانية سامية , ذات قيمة في الأرض والسماء.

## ثالث وعشرون: الإستنساخ والصدى

أمة بخست عقولها وموروثها وفكرها وإستلطفت الركض وراء الآخرين , فتحسبهم قدوتها ومثلها الأعلى وتنسلخ عن ذاتها وموضوعها وهويتها وملامحها الحضارية المميزة , ومهاراتها الإبداعية والإجتهادية والإبتكارية والإختراعية والإكتشافية , وتنهمك بإستساخ ما أصبح باليا في خزائن غيرها وتجهل آليات الإستثمار فيه لأنه غريب عنها , وما تفكرت وتنبهت أن عليها تعليم نفسها لتنطلق في عالمها بقوة ما فيها من قدرات وطاقات معرفية.

أمة تستنسخ وتتحول لصدى لا يمكنها أن تتحدى وتكون وتتقدم على الآخرين وتنافسهم وتتباهى بإنجازاتها أمامهم.

فواقعنا العربي – وبإمتياز – لا يزال يتفاخر باستنساخ ما يأتي به الآخر في المجتمعات المتقدمة علينا , وما فكرنا بعطاءات أصيلة وإنجازات ذات ملامح عربية بحتة.

واقعنا العربي – وبإمتياز – لا يزال يتفاخر باستنساخ ما يأتي به الآخر في المجتمعات المتقدمة علينا , وما فكرنا بعطاءات أصيلة وإنجازات ذات ملامح عربية بحتة

وهذا ربما يشير إلى الإنهيار الحضاري الذي يجرّدنا من قدرات التفاعل المعاصر مع الدنيا ويفرض علينا حتمية التبعية , لأن الإستنساخ تبعية , والصدى تعبير أعمى عن التبعية القاهرة لوجودنا.

وفي الختام , لابد لأقلامنا أن تكون أكثر جرأة وتحديا , وقدرة على المواجهة العلمية والثقافية والفكرية , لكي تساهم في إصلاح الإضطرابات الفكرية والسلوكية , وتذليل المعوقات النفسية المؤثرة في تفاعلات أبناء المجتمع , والمساهمة في صناعة التداعيات المريرة , والصراعات الخطيرة , ذات القدرات التدميرية الشاملة.

إن الأمة لا يمكنها أن تكون من غير الوعي النفسي , والوضوح الفكري , والإنطلاق الصحيح اللازم لدخولها أبواب العصر, بمعرفة ودراية متواكبة مع التطورات والثورات المعرفية المتنوعة في أرجائه.

ونحن أمة لديها القدرات اللازمة للتواصل والعطاء الأصيل , وما علينا إلا أن نستعيد الثقة بالذات والهوية , ونجسد قيمتنا الحضارية والإبداعية بالفعل الجاد والعمل الرشيد.

نحن أمة لديها القدرات اللازمة للتواصل والعطاء الأصيل , وما علينا إلا أن نستعيد الثقة بالذات والهوية , ونجسد قيمتنا الحضارية والإبداعية بالفعل الجاد والعمل الرشيد

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
ArabPsyFound